فغامت الدنيا في عينيها وخرجت من دكان « ابو صالح » ودموعها تسح على وجنتيها بضمت .

كان سليم البهلول يحبو في ساحة الدار ، بينما اعتلى اطفال فاطمة ظهره وراحوا ينهرونه ويلكزونه كانحمار في خاصرتيه ، حين دخلت فاطمة ودموعها لا تزال تسح فوق وجنتيها ، فقفز الاطفال عن ظهره وتعلقوا بثوب امهم ، بينما نهض سليم ببطء وهو يضحك ضحكته البلهاء المتقطعة ، التي سرعان ما تجمدت على شفتيه حين غصت بدمعها وهي تأخذ اطفالها متجهة بهم الى الداخل ، ثم اقفلت الباب خلفها . فوقف سليم ينظر الى الباب المغلق وهو لا يستوعب ما الذي حدث ، ثم طأطأ رأسه وخرج ، وهو يحس برغبة ملحة بالموت .

انكفأ سليم البهلول على نفسه ، واصبح لا يغادر مغارته الا عندما لا يجد ما يأكله ، فيذهب الى « فطومة » ، ويقف خارج البيت وينأديها ، فيخرج اليه احد اطفالها يحمل بعض الارغفة والبطاطا المسلوقة او حبات زيتون ، فيأخذها ويعود ادراجه الى المغارة عارضا عن مداعبة الصبية له .

وحين كانت « فطومة » هي التي تخرج اليه ، كانت تمسكه من يده وتدخله ، فينقاد الى يدها دون ان يستطيع النظر اليها ، ثم تسخن الماء له ، وتغسل له شعره الطويل ، كما كانت تفعل في السابق ، ثم تضع الطعام الساخن له وتحضر الشاي ، فيتناول طعامه على عجل ليعود بعدها الى مغارته ، وينزوي مرة اخرى ليفكر من جديد بقضية الاحتلال هذه وما آلت اليه حاله ، وكيف سيتخلص من هؤلاء « اليهود » ويحملهم على الانسحاب ، كي تعود الحياة في المخيم الى سابق عهدها ، فتعود اليه ايامه الحلوة التي ضاعت ، ويعود الى « فطومة » الفرح .

★ ★ ★

مر اسبوع كامل على سليم البهلول دون ان يذهب الى بيت فاطمة ، ودون ان يراه احد في المخيم ، الا ان احدا لم يفطن الى غيابه ، بعد ان تعود الناس انزواءه وابتعاده عنهم . ولولا افتقاد الاطفال له واستهوائهم لرجمه في لعبهم واغاظته، لما كان يفطن اليه احد ، سوى فاطمة التي افتقدته منذ اليوم الثالث لاختفائه ، اذ ارسلت ابنها يحمل الطعام له فلم يجده فوضع الطعام في المغارة وعاد ليخبر أمه انه لم يجده ، فعادت وارسلته في المساء ليرى اذا ما كان قد عاد ، ومن ثم في صباح اليوم التالي ، الا انه كان يعود ويخبرها انه لم يجده، وانه لميجد سوى القطط التي كانت تأكل الطعام الذي وضعه له في المغارة .

وسرعان ما شاع خبر اختفاء سليم في المخيم وانتشر . قال البعض انه لا بد وان يكون قد « فطس » في المغارة دون ان يدري به احد ، الا انهم سرعان ما اكتشفوا انه لم « يفطس » وانه قد نقل معه « طراحته » التي كان ينام عليها ، فقال البعض الاخر انه لا بد وان يكون قد انتقل الى بيت فاطمة ، وانها قررت اخفاءه في بيتها والعيش معه خفية .

وما كاد هذا الخبر يشيع ، حتى وجدت فاطمة نفسها محط ود جميع العجائز في المخيم ، اللواتي انهلن عليها بزياراتهن المتواترة يحملن لها ولاولادها الهدايا الصغيرة، فما ان تشيع احداهن حتى تستقبل الاخرى ، وفاطمة لا تفقه مما يجري حولها شيئا . وقبل ان تخرج من حيرتها لهذه الزيارات المفاجئة لها وهذا الحب الذي تغمرها به